الترجمة والتحليل النقدي للخطاب

Translation and Critical Discourse Analysis

الدكتور عبد الحليم فاروق العيـدي – قسم اللغة والأدب العربي – جامعة محمد بوضياف، المسيلة- الجزائر
Dr. Abdelhalim Farouk LAIDI, Department of Arabic language and literature, University Mohamed Boudiaf of M'sila - Algeria
البريد الإلكتروني:Farukt68@yahoo.fr

ملخص:

التحليل النقدي للخطاب مقاربة لسانية تهدف إلى إبراز مظاهر الأيديولوجية في مادة لغوية تتكفل بنقل المعاني والعلاقات الاجتماعية المشبعة أيديولوجيا عبر الخطاب. وهو يعد من أحدث مقاربات تحليل الخطاب التي تأثر بها فرع الترجمة، باعتبارها عملية نقل نص بعناصره الثقافية من سياق اجتماعي وثقافي مُحدد إلى سياق اجتماعي وثقافي مغاير، يحتلّ فيه عنصر الأيديولوجية جزءا لا يمكن فصله عن الممارسة الترجمية ونظريتها. من خلال هذه الدراسة، سنحاول تسليط الضوء على منهج التحليل النقدي للخطاب الموجه لتحليل النصوص والترجمات، الذي سيسمح لنا من خلال نماذج بيانية مختارة من رواية قصر الشوق لنجيب محفوظ وترجمتها إلى اللغة الفرنسية، بالكشف عن تأثير الأيديولوجية في اختيار المفردات والتراكيب، بصفتها الخلفية التي تساهم في اتخاذ القرار والمرجعية التي تُرجح اختيارا لغويا معيّنا من بين عدة اختيارات متاحة.

الكلمات المفتاحية : الخطاب – الأيديولوجية – الترجمة - التحليل النقدي للخطاب

Abstract:

Critical Discourse Analysis is a linguistic approach that aims to highlight manifestations of ideology within language material that conveys meanings and social relations ideologically saturated through discourse. It is considered to be one of the most recent approaches to discourse analysis, which has impacted translation as a process of transferring linguistic and cultural characteristics of a text from a social and cultural context to another one, in which the ideological dimension takes an inseparable part of translation practice and its theory.

In this paper, we try to shed light on critical discourse analysis approach devoted to the analysis of both texts and translations, it allows us through selected examples in Mahfoud's "The Palace of Desire" and its French translation, to show the influence of ideology in translator's choices of words and structures. This ideology represents the background contributing to translator's decision-making, and the reference justifying a specific linguistic choice among several available options.

Keywords: discourse- ideology - translation - critical discourse analysis

1- مقدمـة:

يُقصد بتحليل الخطاب العملية التي تقوم على « الوصف المباشر للوحدات اللغوية موضوع الدراسة بحثا عن المعنى محور عملية الفهم والتخاطب ... وهو علم جامع بين مجالات معرفية شتى تتناول المادة اللغوية عندما تتشكل في خطاب ... ويتم بالاعتماد على مناهج اختلفت باختلاف المدارس اللسانية» (جمعة صبيحة: 2019، ص 18) وقد تعدّدت مباحثه انطلاقا من التحليل الوصفي للخطاب وصولا إلى التحليل النقدي للخطاب **Critical Discourse Analysis**، تعبيرا عن الانتقال من تحليل الآليات التي يُسخرها المتخاطبون لتحقيق التواصل إلى تحليل العوامل التي تحكم اختيار تلك الآليات والكيفية التي تستعمل بها لخدمة توجهات معينة، وتكريس قيم ومقاصد تنبني على أيديولوجيات معيّنة. (الزليطني: 2014، ص 9-10)

وتعتبر اللغة من منظور التحليل النقدي للخطاب ممارسة اجتماعية يأخذ فيها سياق استخدام اللغة مكانة مفصلية، ممّا يدفعنا إلى عدم الاكتفاء بتحليل النص وعمليات الإنتاج والتأويل فحسب، ولكن تحليل العلاقة بين النص والظروف الاجتماعية المتصلة بالسياق، وبالأخص بظروف البُنى الاجتماعية والمؤسساتية. (Fairclough: 1989, p. 26) ولا يقف الأمر ضمن هذه المقاربة عند حد البنية السطحية للنصوص، إنما يتجاوزها إلى القراءة التأويلية للاختيارات التي يقوم بها المترجم الذي غالبا ما يواجه صعوبات في ترجمة المميزات الثقافية والدينية التي تعج بها النصوص الأدبية. وهي صعوبات لا يمكن حصرها في عقبات لسانية قد يستطيع المترجم تجاوزها بأساليب لغوية وترجمية، بل هناك خلفيات وعوامل خارج لسانية تُحدّد اختياراته ومواقفه وترسم مسارا لترجمته وهدفا لها. ولا شك أن تقع هذه الاختيارات تحت وطأة الأيديولوجية المحدّدة لمناهج الترجمة، وللمعاني الظاهرة والمضمرة التي تعكس مواقفه وثقافته ونظرته إلى العالم، ما يحثنا على إدراك الرهانات التي تفرضها الأيديولوجية في الممارسة الفعلية للترجمة.

أردنا من خلال هذه الورقة، مقاربة السؤال المتعلق بأثر الأيديولوجية في نقل المميزات الثقافية والدينية، مستعينين بمنهج التحليل النقدي للخطاب بحثا عن الخلفيات والدوافع التي تجعل المترجم يميل إلى اختيار لغوي بين عدة اختيارات ممكنة تتيحها اللغة. وسيتضمن هذا البحث تعريفا لمنهج التحليل النقدي للخطاب، نشأته ومفهومـــه ووصفا لعلاقته بالأيديولوجية ثم بالترجمة، وأخيرا عملا تطبيقيا على نماذج بيانية مختارة من رواية قصر الشوق لنجيب محفوظ وترجمتها إلى اللغة الفرنسية، نشرح من خلالها مراحل التحليل ونتائجه، حيث يتسنّى لنا من خلالها الكشف عن مظاهر الأيديولوجية عبر تجلياتها اللغوية.

2- ما هو التحليل النقدي للخطاب ؟

التحليل النقدي للخطاب مقاربة تهتم بدراسة الخطاب وتنظر إلى اللغة على أنها شكل من أشكال الممارسة الاجتماعية. وهو مرتبط بحقل اللسانيات النقدية التي نشأت لدراسة اللغة في إطار نقدي، بغرض دراسة السلوك اللغوي في حالات الاستعمال الطبيعي للكلام المتصل بالجانب الاجتماعي. (Fairclough: 1995, p. 20). وعند التمعن في التركيبة اللغوية لمنهج التحليل النقدي للخطاب، نجد أنها تتكون من ثلاثة عناصر هي: التحليل والنقد والخطاب:

1- التحليل: وعكسه التركيب، وهو إرجاع الكل إلى أجزائه. ويُمكن أن يكون تحليلا حقيقيا واقعيا أو تحليلا ذهنيا خياليا، بمعنى عزل أجزاء الشيء أو صفاته أو خصائصه بعضها عن بعض في الذهن. وهو عبارة عن استعلام يتم إجراؤه بناء على فرضيات يوفر إجابات للأسئلة المثارة. (صليبا جميل: 1982، ص 245)

2- **النقد**: وهو حسب **إزرا باوند (Ezra pound)** المنهج الذي يتم بواسطته البحث أو تسليط الضوء على مسألة يمكن أن تمر دون أن تجلب انتباهنا. (Pound: 2000, p. 26) ويتكفل النقد العلمي بعيدا عن الوصف أو التطبيق السطحي بطرح أسئلة إضافية في كل المجالات. أما مسألة "النقد" المتأصل في مفهوم التحليل النقدي للخطاب، فيعني أساسا الوقوف على بعد مسافة واحدة من المعلومات أو البيانات، وتضمينها في السياق الاجتماعي. (Wodak & Meyer: 2001, p. 9)

3- **الخطاب**: الخطاب عنصر محوري في التحليل النقدي للخطاب، « وهو الاستعمال اللغوي في سياقات التداول الفعلي للكلام، تستقيم فيه معاني الأشكال اللغوية المستخدمة في المجالات الاجتماعية والسياسية والثقافية عبر التحليل النحوي والدلالي».(Machin & Mayr: 2012, p. 20) بمعنى أن الخطاب يُعد تجسيدا لعملية التفاعل اللغوي بين المتحدث ومستقبل النص في سياق اجتماعي مُعيّن.

1.2- نشأته :

ظهر التحليل النقدي للخطاب أوائل تسعينيات القرن الماضي ضمن حلقة جمعت بعض الدارسين في أشغال ندوة مصغرة انعقدت برعاية من جامعة أمستردام في جانفي 1991، وكانت فرصة لعديد المنظرين على غرار Teun van Dijk, Norman Fairclough, Gunther Kress, Theo van Leeuwen and Ruth Wodak لمناقشة نظريات وأساليب تحليل الخطاب، وبالأخص التحليل النقدي للخطاب. وقد أتاح الاجتماع لكل طرف أن يطرح مقاربته ثم مقابلتها بالمقاربة الأخرى، ولا يزال الاختلاف بين المقاربات قائما إلى اليوم. وقد ظهر هذا المفهوم بشكل فعلي بصدور مقال فان دايك تحت عنوان "الخطاب والمجتمع" (1990) وقبله كتاب "اللغة والقوة" من تأليف نورمان فيركلاف

(1989)، وكذا كتاب "القوة والأيديولوجية" لمؤلفته روث فوداك (1989). (Wodak & Meyer: ibid, p. 5)

نشأت مقاربة تحليل الخطاب انطلاقا من نموذج ميكائيل هاليداي (M. Halliday) الذي يتأسس على نظام النحو الوظيفي المكرّس لدراسة اللغة بصفتها عملية تواصلية، مع النظر في المعاني التي أراد صاحب النص التعبير عنها عبر خياراته اللغوية، والربط بينها وبين الإطار السوسيو- ثقافي. ويستخدم أساسا لتحليل الوظائف العملية للعناصر اللغوية في كل من النص الأصل والنص الهدف، حيث يرى هاليداي أن ثمة علاقة وطيدة بين المستوى السطحي للوظيفة اللغوية والإطار السوسيو- ثقافي. وبالتالي، يرتبط نوع النص بوظيفة تواصلية خاصة تتحدّد وفقا للبيئة السوسيو- ثقافية. ويُميّز هاليداي فيه بين ثلاثة عناصر هي: المجال (الموضوع)، الشخص (القائم بعملية التواصل والمتلقي)، النمط (شكل التواصل- كتابي على سبيل المثال). وتشكّل تلك العناصر عند ربطها بدلالات الخطاب في النص، ثلاثة أنواع من المعاني المنجزة بواسطة مجموعة الاختيارات التي توفرها اللغة على المستوى المعجمي/ النحوي والتي تعد حاسمة في تحديد المعنى:

أ- المعنى الفكري (Ideational) ويرتبط بمجال النص ويتحقق عبر اختيار الأفعال والصيغ.

ب- المعنى التواصلي بين الأفراد (Interpersonnal) ويرتبط بالشخص ويتحقق عبر استخدام اللغة من أجل إقامة علاقة بين منتج النص والمتلقي.

ج- المعنى النصّي (Textual) ويرتبط بنوع النص من خلال المواضيع والتراكيب الإخبارية المستعملة ويتحقق عبر ترتيب وتركيب عناصر الجمل والتنسيق بينها.(Munday: 2001, p. 91)

كان محور هذا النظام موجها إلى الصيغ التي تسمح بالتعبير عن الظواهر الاجتماعية بواسطة الاختيارات اللغوية، غير أنه لم يول الخطاب وسياقه والأهداف الأيديولوجية الأهمية التي تلقتها ضمن التحليل النقدي للخطاب.

2.2- مفهومه :

تأسّس التحليل النقدي للخطاب بصفته فرعا جديدا يضاف إلى حقل الدراسات اللغوية، ليضع في المتناول أداة تسمح بالكشف عن الأيديولوجيات الخفية وراء النص وإبراز مظاهرها. وبالنظر للإشكاليـة التي يطرحها الخطاب من حيث التراكيب والمعاني، فإن عملية فهم النص لا تأتي من تحليل المفردات والخصائص النحوية أو شروط تماسكها فقط، بل بالنظر أيضا في كل من السياق وعلاقة النصوص بعضها ببعض. حيث يُوفـر التحليل النقدي للخطاب إمكانية البحث في السياق الاجتماعي والتفكير النقدي في إنجاز الدراسات النقدية. فالهدف الرئيسي من التحليل النقدي للخطاب هو **اكتشاف الجزء الخفي من الخطاب وتسليط الضوء عليه.** وتجد اللغة من منظور التحليل النقدي للخطاب مكانها في

العلاقة التفاعلية مع الواقع الاجتماعي، أي أن الفعل التواصلي يتأثر بالواقع الاجتماعي ويستخدم لاستمرارية أو لتغيير الواقع الاجتماعي. **حيث ينزع صاحب النص في بعض الحالات إلى إخفاء حقيقة مُعيّنة ويرغب تارة في تفخيمها، ويريد تارة أخرى إظهار عكسها.** إن استغلال العناصر اللغوية النصية ضمن التحليل النقدي للخطاب يعكس أهداف منتج النص وانتمائه الأيديولوجي، وتكشف بدورها عن علاقات القوة غير المتكافئة (صراع طبقي أو صراع أيديولوجي) بين المشاركين في الفعل التواصلي. وبالتالي، **فإن الهدف الرئيسي من هذا المفهوم هو الكشف عن العلاقات الأيديولوجية وموازين القوة الخفية الكامنة في الخطاب المنطوق والمكتوب.**(Mahdyan & Rbhar, p. 36) وضمن هذا المنظور، اعتبر حاتم باسل أن «تحليل **الأشكال اللغوية المستعملة** من أفضل السبل **لمعاينة المظاهر الأيديولوجية، حيث تتجلّى هذه العلاقة إمّا على المستوى المعجمي/ الدلالي أم المستوى النحوي/التركيبي**». (Hatim: 2001, pp. 178-179)

كما يُعتبر التحليل النقدي للخطاب مقاربة لسانية «تُعنى بدارسة العلاقات الجدلية بين اللغة والخطاب والمجتمع، والسلطة التي تكرسها تلك العلاقات على صعيد الممارسة الاجتماعية وما تحدثه من تغيرات اجتماعية ... وتستند إلى الأطر النظرية والمناهج اللسانية في دراسة وظائف التحكم والهيمنة على الممارسات التواصلية المنطوقة والمكتوبة، ونتوق إلى فضح الجدوى الاجتماعية للاستعمالات اللغوية المنتقاة على صعيد الخطاب، ... فالنص والخطاب والممارسة الاجتماعية والسلطة أربعة مفاهيم مركزية في التحليل النقدي للخطاب. والغاية من النقد اللساني الخطابي هي فضح السلطة التي تمارسها الاختيارات اللسانية المعدة والمنسقة حسب مقاسات المراجع الأيديولوجية لصناع الخطابات». (يطاوي: 2019، ص 11)

ولا تُركّز اللسانيات النقدية والتحليل النقدي للخطاب على النصوص المنطوقة أو المكتوبة بصفتها مادة للبحث فقط، بل تستوجب **عملية نقد للخطاب** بكل ما تحمله الكلمة من معنى، مع بعض التنظير والوصف لكل من العمليات والمؤسسات الاجتماعية التي تساهم في إنتاج النص. ويأخذ البعد الأيديولوجي في التحليل النقدي للخطاب مكانة محورية في إقامة علاقات القوة غير المتكافئة أو الحفاظ عليها، كما تهتم اللسانيات النقدية اهتماما خاصا بالطرق الكفيلة بنقل الأيديولوجية عبر اللغة. (Wodak & Meyer, op cit, p. 10)

أما من الجانب العملي، يرى فيركلاف « أن تحليل النص هو جزء من تحليل الخطاب [...] الذي يمر عبر عملية **معاينة النص، التفاعل وأخيرا السياق الاجتماعي** بصفتها العناصر الثلاث المكونة للخطاب، وتُقابل هذه العملية **ثلاث مراحل ضمن التحليل النقدي للخطاب وهي : وصف النص، تأويل العلاقة**

بين النص والتفاعل، وأخيرا شرح العلاقة بين التفاعل والسياق الاجتماعي.» (Fairclough: 1989, p. 108)

استنادا لما سبق، يمكننا القول بأن عمليات التحليل النقدي للخطاب تتلخص في ثلاث مراحل هي: الوصف والتأويل والشرح. ومعناه أن منهج التحليل النقدي للخطاب يستند إلى مسار منهجي دقيق وصارم، يبدأ بوصف الممارسة النصية، ثم يربط بين محصلاتها وما يعلن عنه تحليل التفاعل الخِطابي في السياق الاستعمالي، ثم تصبح جميع المحصلات معطيات لسانية جاهزة للتفسير الاجتماعي، أي الوصول إلى مظاهر التحكم وأطماع الهيمنة، والمقاصد الفعلية من الاختيارات اللسانية المعتمدة دون غيرها. (يطاوي: المرجع السابق، ص 11)

ويُضيف فان دايك (Van Dijk) في الجانب العملي من المفهوم : « وبغية تجنب وصف هذا المنهج الاستكشافي بالإجراء الاعتباطي (Arbitraire) بالنظر للقدر الكبير من البنى النصية واللفظية المتغيرة أيديولوجيًا، من المفيد العمل بطريقة أكثر منهجية وتنظيما. لقد رأينا أن الأيديولوجيات تعتمد في أغلب الأوقات على الاستقطاب الذي يعكس التنافس أو الصراع في الانتماء إلى جماعة وتصنيف الأفراد بين من ينتمي إلى الجماعة / خارج الجماعة ... وتظهر هذه البنى أيضًا في شكل مواقف... وتتحكم هذه النماذج الذهنية في "محتويات" الخطاب. وتبيّن من عديد الأبحاث أن الخطاب الأيديولوجي يحتوي غالبًا أربع استراتيجيات يُطلق عليها اسم "المربع الأيديولوجي" وهي:

إبراز إيجابياتنا Accentuer *nos* points positifs -Emphasize our good things

إبراز سلبياتهم Accentuer *leurs* points négatifs -Emphasize their bad things

تذليل سلبياتنا Atténuer *nos* points négatifs - De-emphasize our bad things

تذليل إيجابياتهم Atténuer *leurs* points positifs-De-emphasize their good things

ويمكن تطبيق هذه الاستراتيجيات العامة على المستويات التالية: الفعل (Action)، والمعنى (Sens) والشكل النصي أو اللفظي (La forme textuelle ou verbale) .» (Van Dijk: 2006, p. 110)

نتيجة لتداخل الدراسات اللسانية الموجهة للخطاب مع مجالات معرفية واحتكاكها بعديد حقول العلوم الإنسانية وانفتاحه على نظريات أخرى من خارج حقل اللسانيات، برزت « مقاربات متعددة داخل منهج التحليل النقدي للخطاب، وتفككت عنه ستة مناهج إلى حدود نهاية الألفية الثانية، وهي: المقاربة العلائقية الجدلية، والمقاربة المعرفية الاجتماعية، والمقاربة التاريخية لتحليل الخطاب، ومقاربة الفاعل الاجتماعي، والتحليل التنظيمي للخطاب، ولسانيات المدونات» (يطاوي: المرجع السابق، ص 11) ويُمكن للقارئ الاطلاع على تفاصيل أكثر حول هذه المقاربات بالرجوع لكتاب يطاوي محمد (2018c) : المرجعية اللسانية في التحليل النقدي للخطاب (في الأصول ونقد المناهج).

وبالرغم من تعدد المقاربات داخل التحليل النقدي للخطاب، إلا أنها «تميل جميعها إلى التوليف بين تحليل النص والنظر في السياق الاجتماعي الأوسع لأن إيجاد تفسيرات اجتماعية للاختيارات يشترط أن يكون المحلّل مُلما بالمجال المعرفي. هكذا سيعرف التحليل النقدي للخطاب ظهور مقاربات تتفرع منه لكنها تستحضره وتتفق مع مبدئه الأول حتميا المتمثل في مركزية الاشتغال اللساني بمرحلتيه الأولى والثانية : الوصف النصي وتحليل التفاعل الخطابي (مع العوامل الاجتماعية). وبناء على اشتراط المواضيع المدروسة لأطر تحليلية منسجمة مع الحقل المعرفي الذي تنتمي إليه وخاصة في المرحلة الثالثة: التأويل الاجتماعي، ستخرج للوجود المقاربات». (يطاوي: 2018a، ص 362) ومعناه أن عملية التحليل لا تتغير في مرحلتيها الأوليتين (وصف النص، تأويل العلاقة بين النص والتفاعل) ضمن جميع المقاربات الست، بينما تتباين في المرحلة الثالثة (شرح العلاقة بين التفاعل والسياق الاجتماعي) بتباين الموضوع ومجاله المعرفي.

في ضوء ما سبق، أدركنا أن مصطلح التحليل النقدي للخطاب قد أخذ الأفضلية للدلالة على نظرية عُرفت سابقا باسم اللسانيات النقديـة. وبما أن الدراسة النقدية للخطاب تتكفل بالكشف عن مظاهر إنتاج السلطة بوسائط لغوية، بات من الضروري أن نعي « أن مقاربة التحليل النقدي للخطاب تركيب بين التحليل اللغوي وحالات الممارسات الاجتماعية، في أفق الكشف عمّا يقتضيه التوظيف اللساني من سلطة وهيمنة ... وتختص بشرح بُنى الخطابات مع الأخذ في عين الاعتبار خواص التفاعل الاجتماعي والبنى الاجتماعية وتغيراتها. ومعنى ذلك أن التحليل النقدي للخطاب يركز على الطرائق والخيارات اللغوية على صعيد البنى الخطابية التي تُفعل علاقات التحكم والهيمنة والسلطة، وإضفاء الشرعية على صعيد البنية الاجتماعية». (يطاوي: المرجع نفسه، ص 12) وبالنسبة لـ **بول سيمبسون** (**Paul Simpson**)، فإن «الهدف الرئيس من وراء هذا النوع من التحليل هو استكشاف أنظمة القيم ومجموع المعتقدات التي توجد في النصوص، أو بالأحرى استكشاف مواطن انعكاس الأيديولوجية في اللغة».(Simpson cited in Munday: 2008, p.8). ومنه، باتت علاقة الأيديولوجية بالتحليل النقدي للخطاب علاقة واضحة وثابتة.

3- الترجمة والتحليل النقدي للخطاب:

تعددت مناهج تحليل الترجمة بتعدد المدارس ومرجعياتها، ومن بينها برز منهج التحليل النقـدي للخطاب بصفته مقاربة لا تنحصر في مقابلة بسيطة بين نسقين لسانيين، وإنما عملية تستوجب القدرة على الفهم والتأويل والتحليل.

لم يكن للتحليل النقدي للخطاب أثر على فرع اللسانيات التطبيقية فحسب، بل تجاوزه إلى الدراسات الترجمية أيضا وسلك طريقه إليها وتجذّر فيها عبر النظريات الوظيفية للترجمة. ونتيجة لاندماجه في

الدرس الترجمي، « أصبح النظر إلى مفهوم الترجمة متاحا من زاوية مختلفة. فإذا كان النص المصدر قد تمّ إنتاجه في سياق اجتماعي وثقافي مُحدد، وفق معايير وقيم ذلك المجتمع أو نظامه، فإن للخلفية الاجتماعية والثقافية للمترجم وكفاءته اللغوية وخبرته في التعامل مع النصوص والخطابات الأخرى تأثير مباشر في عملية الترجمة. وبذلك، نجده في حقيقة الأمر يطبع ترجمته بوعي أو دون وعي منه بنظرته الخاصة للعالم وأيديولوجيته وفقا لفهمه الخاص للترجمة أو متطلباته .» (Mahdiyan & Rahbar: op.cit, p. 36) وتعد **السلطة (Power)** من بين أنواع العلاقات في تحليل المعنى بين الأفراد، حيث يمكن لتشكيلة الخيارات التي يقدمها المترجم على مستوى المفردات والتراكيب المتاحة في اللغة أن تُشكل المعنى الذي تواضع عليه الأفراد. وتعد الترجمة من المنظور نفسه فعلا اجتماعيا وثقافيا وسياسيا تتّم من خلاله محاولة الجمع بين العناصر الثلاثة التي حدّدها هاليداي لتحليل النص الأصل والنص الهدف. (Munday: op.cit, p. 91)

ويُعتبر النشاط التواصلي بين البشر وفق ضوابط اجتماعية وثقافية عاملا مشتركا في التحليل النقدي للخطاب والدراسات الترجمية، وأن النصوص والخطابات هي نتاج له. وعليه، من الواجب أن لا نحصر عمل المترجم في وظيفة الوسيط الذي يترجم من لغة إلى أخرى، بل يجب النظر إليه على أنه منتج لخطاب جديد في لغة الهدف، (Schaffner: 2004, p.136) ذلك لأن المترجم يتبوأ مهمة خلق عملية تواصلية جديدة في بيئة لغوية مغايرة انطلاقا من عملية سابقة، تتبلور باستخدام مرجعيته المعرفية (اللغوية والاجتماعية والثقافية) والتفاوض حول المعنى بين النص الأصل والنص الهدف. ومن خلال هذه العملية، يتم تلقي الترجمة على أساس أنها نص تمّ تكييفه مع سياق اجتماعي وثقافي جديد، منبثق عن نص أول قائم في سياق اجتماعي وثقافي خاص به. (Schaffner, ibid, p. 138)

وعند النظر في علاقة الترجمة بالتحليل النقدي للخطاب، نجد أنها تندرج ضمن الدراسات الترجمية التي تهتم بدور المترجم في مسار الترجمة وفقا للاستراتيجية التي يختارها والجمهور الذي يستهدفه. وفي هذا السياق، ركزّت كريستينا شافنر Christina Schaffner اهتمامها على الهدف من الترجمة والجمهور المستهدف من زاويتين: جمهور له تقريبا المعرفة نفسها بموضوع النص الأصل. وجمهور يفتقر إلى معرفة بقضايا النص الأصل. ومنه، يرتسم من عمل المترجم هدفان رئيسيان للترجمة: الأول: ترجمة مع بعض التغييرات في النص الهدف. وتندرج ضمن هذه الاستراتيجية عمليات الحذف والإضافة، التشويه والتغيير التي يمكن الكشف عنها بواسطة التحليل النقدي للخطاب (مقاربة دينامية). الثاني: ترجمة مع الامتناع عن إحداث تغييرات كبيرة وفقا لإستراتيجية الترجمة الأمينة (مقاربة حرفية). (ibid, p. 17)

وقبل الختام، نود إزالة اللبس عن مفهوم التحليل النقدي للخطاب لأن التصور السائد يجعل منه منهجا نقديا للتمييز بين مواطن الجودة والرداءة، والحقيقة أن مفهوم النقد هنا لا يختص بالنقد الجمالي أو

البنيوي أو النفسي أو الثقافي، وإنما القصد منه إزالة اللثام عن النوايا والأهداف غير المعلنة التي تُضمرها الاختيارات اللسانية في الخطاب الأدبي.

4- **نماذج بيانية حول التحليل النقدي للخطاب** :

عرفنا أن منهج التحليل النقدي للخطاب يستعمل أساسا في تحليل العناصر اللغوية لاستنطاق نص له لغته الخاصة ومميزاته الثقافية، حتى يبوح عن المعاني المشبعة أيديولوجيا والعلاقات الاجتماعية المراد نقلها عبر الخطاب. وفي هذا المقام، نحن لا نحكم على جودة أو رداءة الترجمة، بل ننظر في الخلفية التي كانت وراء الاختيار، والربط بينها وبين الإطار السوسيو- ثقافي لرفع اللثام عن الدوافع والمرجعيات التي كانت وراء خيارات المترجم لنقل المعاني التي أرادها. كما نرمي الكشف عن توجهات ومواقف المترجم والمتدخلين في إنتاج الترجمة وفقا للأهداف التي سطّروها قصد التحكم في عمليات التواصل وتكريس قيم ومقاصد تنبني على أيديولوجيات معيّنة.

سنعرض في ما يلي نماذج مختارة من رواية «قصر الشوق» لنجيب محفوظ وترجمتهما إلى اللغة الفرنسية تحت عنوان « Le palais du Désir » من إنجاز فيليب فيقرو Philippe VIGREUX، لشرح مراحل التحليل النقدي للخطاب وعرض نتائجه.

النموذج الأول:

قصر الشوق : « وكان السيد أحمد قد فرغ من الصلاة، فعلا صوته الغليظ بالدعاء المعتاد للأولاد ولنفسه سائلا الله الهداية والستر في الدارين، وفي أثناء ذلك كانت أمينة تُعد المائدة، ثم ذهبت إلى حجرة السيد فدعته – **بصوتها الوديع** – إلى تناول الفطور ... ». (ص 22)

Le Palais du Désir :

« …Ahmed Abd el Gawad avait terminé sa prière et sa voie profonde s'élève au moment de prononcer les vœux habituels pour ses enfants et pour lui-même, implorant Dieu de guider son chemin et de lui accorder sa protection sur cette terre et dans l'au-delà. Pendant ce temps, Amina préparait la table matinale. Quand elle en eut terminé, elle monta à la chambre de Monsieur, le pria **de sa voix effacée** de venir prendre le petit déjeuner,… » (p, 41)

أولا: معاينة النص (وصف النص):

وتسمح لنا هذه المرحلة بمعاينة الصيغة اللغوية التي اختارها المترجم للتعبير عن المعنى المكافئ الذي تضمنه التركيب في النص الأصل. ويتمثل النموذج المختار في شبه الجملة «**بصوتها الوديع**» وتقديرها حال، وجاء في

سياق مشهد صباحي بمنزل السيد أحمد، حيث كان يؤدي صلاته ويدعو بصوته الغليظ دعاءه المعتاد، بينما كان ولداه في حجرتهما يستعدان للخروج، وكانت السيدة أمينة قد حضّرت الفطور ثم ذهبت إلى زوجها تدعوه إلى المائدة بصوت وديع.

ثانيا : التفاعل أو التأثير (تأويل العلاقة بين النص والتفاعل):

وتسمح لنا هذه المرحلة بمعاينة المعنى الذي أراد صاحب النص إيصاله للمتلقي عبر عبارة «**بصوتها الوديع**» أي بصوت هادئ يُثير الطاقة الإيجابية عند السماع إليه، وهو يتميز بنعومة متصلة بطبيعة صوت النساء ودليل على الطيبة والاحترام. ويقابله في الفرنسية : «**sa voix douce**».

وعند النظر في الترجمة، نرى أن المترجم قد اختار المكافئ التالي:« **voix effacée** »، للدلالة على الصوت الخافت الذي لا يكاد يُسمع بسبب الخضوع أو الخوف أو المرض العضوي أو النفسي.

ثالثا: السياق الاجتماعي (شرح العلاقة بين التفاعل والسياق الاجتماعي) :

لا يخفى عن القارئ أن من المواضيع التي تناولتها الرواية موضوع المرأة في المجتمعات العربية الإسلامية ومكانتها وعلاقتها بالرجل. فإذا كان اختيار صاحب النص الأصل لعبارة "**بصوت وديع**" للدلالة على الطيبة والاحترام، كان الغرض من اختيار المترجم لعبارة « **voix effacée** » التي لم نلمس فيها أي بعد جمالي أو إبداعي متصل بإنتاج الأدب، ربط الصفة التي تلازمت مع الصورة النمطية لدى الغرب عن حياة ومكانة المرأة في المجتمعات العربية الإسلامية، لتوحي عدم جرأة أو قدرة المرأة على رفع صوتها أمام زوجها حتى لتدعوه إلى تناول الفطور، لأنها لا تستطيع ذلك تحت سلطة وجبروت زوجها.

بعد الوقوف على مدى التكافؤ أو التباعد بين المعنى في النص الأصل والمعنى الذي أراد صاحب النص تبليغه عبر اختياره، لمسنا من التشويه الذي لحق المعنى في الترجمة أن ثمة مرجعية أيديولوجية وراء الاختيار، الهدف منها عرض صورة خضوع المرأة العربية المسلمة للرجل وهي من بين الصور النمطية stéréotypes السائدة لدى المجتمعات الغربية، كما كان الهدف من ذلك تثبيت الأفكار المسبقة idées reçues لدى القارئ المستهدف.

النموذج الثاني :

قصر الشوق : «فقالت أمينة ممتنة لتودده : ياسين رجل طيب و الرجل الطيب لا يمتنع عن الزواج إلا مضطرا، الحق آن لك أن تُفكّر في استكمال **دِينك** .. » (ص 48)

Le Palais du Désir :

« Et c'est contre son gré qu'un brave garçon se prive du mariage ! Maintenant tu as le droit de songer à récupérer **ton dû** ! » (p 79)

أولا: معاينة النص (وصف النص):

وفي هذه المرحلة، تتم معاينة المفردة التي اختارها المترجم للتعبير عن المعنى المكافئ الذي تضمنته مفردة «**دِينك**» في النص الأصل. وجاء هذا النموذج في سياق حديث عائلة عبد الجواد عن موضوع الزواج وحث السيدة أمينة ابنها على استكمال دينه بعدما بلغ من العمر ثمان وعشرين سنة، كما كانت أخته تحث على ذلك لكنه كان يُبدي عدم اهتمامه بالأمر متحججا بالأعوام التي تمُرُّ وتُنسي الإنسان رغائبه.

ثانيا : التفاعل أو التأثير (تأويل العلاقة بين النص والتفاعل):

وتسمح لنا هذه المرحلة بمعاينة المعنى الذي أراد صاحب النص إيصاله للمتلقي عبر مفردة " **دِينك** " بكسر الدال التي تُحيل إلى معنى **La religion – La foi** وهو معنى المفردة الثابت من خلال السياق، وهو كذلك دلالة على أن الزواج نصف الدِين نظيرا لقيمته في الإسلام، وهو المعنى الوارد في سياق النص الأصل والمتعارف عليه لدى المجتمعات الإسلامية. بينما لجأ المترجم عبر اختياره في هذا النموذج إلى اللعب بمعاني الكلمات، إذ نجد معنى المفردة كما سبقت الإشارة إليه، بينما قرأ المترجم المفردة قراءة مختلفة أو بالأحرى تعمد تأويلها تأويلا لا يتطابق مع المعنى الذي قصده صاحب النص الأصل فصارت "**الدَيْن**" بفتح الدال، ومعناه **Le dû**.

ثالثا: السياق الاجتماعي (شرح العلاقة بين التفاعل والسياق الاجتماعي) :

الزواج من الأمور التي خصّها الإسلام بمكانة عالية في حياة المسلمين، القصد منه حفظ النسل والنفوس من شر الخبائث، إلا أن هذا القصد يختلف بين المجمعات الإسلامية وغير الإسلامية.

وبعد الوقوف على تباعد معنى المفردة بين الأصل والترجمة، لمسنا من التشويه الذي لحق المعنى في الترجمة انزياحا مرده إمّا إلى خصائص دين وثقافة المترجم التي لا تسع هذا المغزى الديني والاجتماعي من الزواج، وهو في هذه الحالة مطالب بإيصال ونقل المعنى الذي تضمنه النص الأصل بمكافئ دلالي transcodage خدمة للأمانة في الترجمة والتبادل بين الثقافات. وإمّا إلى أيديولوجية كامنة في نفس المترجم أراد من خلالها تأويل المفردة تأويلا غير بريء حتى يندثر المعنى الحقيقي للمفردة ويستبعده. وفي هذه الحالة، يظهر على الأرجح أن الهدف منه هو التضليل والتلاعب بالألفاظ ونفي القيمة قصد إغفال فضائل الدين الإسلامي عن النص الهدف حتى لا تظهر محاسنه، وحجبها عن القارئ المتلقي تجسيدا لقناعاته ومواقفه أو ربما خضوعا لشروط ومواقف المتدخلين في إنتاج الترجمة.

النموذج الثالث :

قصر الشوق : أم حنفي: انظروا إلى اللبلاب والياسمين ! ليت عندكم مثلهما، ليس في سطحكم إلا الدجاج والخروفان اللذان تسمنونهما **للعيد** » (ص 27)

Le Palais du Désir :

« …Il n'y a que des poules et ces deux moutons que vous engraissez pour **la fin du jeun** » (p.48)

أولا: معاينة النص (وصف النص):

وفي هذه المرحلة، سنُعاين مفردة «**عيد**» ومكافئها «**la fin du jeun**» الذي أدرجه المترجم في نص ترجمته. وجاء هذا النموذج في سياق الحوار الذي جمع بين أحفاد السيد عبد الجواد، يتباهون ويلعبون ويتناقشون في بهو المنزل، وكانت التركيبة اللغوية المختارة في هذا النموذج ضمن الحديث الذي دار بين الأطفال.

ثانيا : التفاعل أو التأثير (تأويل العلاقة بين النص والتفاعل):

وتسمح لنا هذه المرحلة مقابلة معنى كلمة «**عيد**» بعبارة «**la fin du jeun**»، إذ نجد أن كلمة العيد تحمل دلالة خاصة بالنسبة للمسلمين، لكن فضّل المترجم - في غياب المرجعية في ثقافته ودينه- توظيف مكافئ للمفردة يتمثل في ظرف زمان لا يعبّر بصدق عن المعنى الذي جاء في سياق النص الأصل، بدلا من اقتراض كلمة «**عيد**» بكل مكوناتها المادية والصوتية (**l'Aïd**) حتى تنقل ما احتوته في مضمونها من دلالات. كما يمكن للقارئ أن يلاحظ أن المكافئ الذي اختاره المترجم قد أفرغ مفردة «**عيد**» من خصائصها الدلالية أو أيقونيتها **iconicité** وفقا لإجراء الإفقار النوعي **appauvrissement qualitatif** الذي استنكره أنطوان برمان في منهجه النقدي.

ومن شأن أسلوب الاقتراض **l'emprunt - Borrowing** أن يرفع اللبس الذي يشوب المكافئ الذي اختاره المترجم لإمكانية الخلط عند غير المسلمين بين استعمال الخروفين لمأدبة الإفطار **rupture du jeun** أو تحضيرهما ليوم العيد، والغالب أن الخروفين موجهين ليوم النحر أي عيد الأضحى ولا علاقة لشهر الصيام بهما. وقد كان بإمكانه على أقل تقدير استعمال كلمة **fête** بصفتها المكافئ الطبيعي للمفردة.

ثالثا: السياق الاجتماعي (شرح العلاقة بين التفاعل والسياق الاجتماعي) :

من المعلوم أن للمسلمين عيدين على غرار جميع الشعوب التي لها أعياد تحتفل وتفرح بها. وبعد معاينة المفردة في الأصل ومكافئها في الترجمة، لمسنا رغبة واضحة لدى المترجم في إخفاء كلمة «**عيد**» عن النص الهدف حتى لا تظهر للمتلقي أو عزل هذا الأخير عن مميزات الثقافة التي نشأ فيها النص الأصل، ربما لإنكار ثقافة التلقي لهذه الشعيرة الإسلامية التي يتم فيها نحر الأضاحي، أو أنه أراد حجبها تماما عنه. ومن ثم، أصبح لعملية الحذف بعدا أيديولوجيا بصفته معيارا يتحدّد وفقه نوع المكافئ.

حيث كان من الأجدر أن ينقل المترجم مفردة «**عيد**» نقلا حرفيا (أسلوب الاقتراض)، وهو من أبسط أساليب الترجمة، ويُستعمل لملئ الفجوات في النص أو لتحقيق تأثير محدّد لدى قارئ النص الهدف، أو إدخال صبغة محلية من خلال الكلمات الأجنبية الجديدة التي تُثري اللغة من جهة، وتنقل

ثقافة الغير من جهة أخرى. وفضلا عن ذلك، يعمل الاقتراض على التعريف بهذه الثقافة ومميزاتها وتقريبها إلى أذهان القارئ الأجنبي في إطار التبادل والحوار بين الثقافات، حتى لا تُطمس ثقافة المجتمع الذي نشأ فيه النص الأصل.

5- خاتمة :

الخطاب ممارسة لغوية اجتماعية تحدث في سياق معيّن يحتاج إلى متحدث ومتلق وتفاعل (تأثير)، وهو مشبع أيديولوجيا لأنه تعبير عن الأفكار والمواقف. وبولوج عنصر الأيديولوجية إلى الدراسات اللغوية، تأثر الدرس الترجمي لاتصاله بالمعطى الثقافي وأصبح مادة دسمة تناولها المُنظرون بالدراسة بصفته عنصرا فعّالا له دوره في سن النظريات الترجمية وأساليبها وفي تحديد السلوك الترجمي، وله بالإضافة إلى ذلك أثره في الخيارات التي يقوم بها المترجم بوعي أو دون وعي منه، لأنها تعكس ثقافته ونظرته إلى العالم التي لا يمكن له بأي حال من الأحوال التخلص من ذاتيته. ولا مناص من أن اللغة التي يستخدمها جميع المترجمين على غرار الكتّاب والمؤلفين، هي تعبير عن المواقف الأيديولوجية (من حيث أنظمة القيم ومجموع المعتقدات) التي تعد جزءا من مرجعيتهم الاجتماعية والثقافية والتاريخية التي يكون لها تأثير على النص أثناء نقله إلى لغة الترجمة. ومنه، سنكون بحاجة إلى منهج التحليل النقدي للخطاب لتسليط الضوء على المعطى الأيديولوجي في عملية الترجمة.

دخل التحليل النقدي للخطاب قاموس الدراسات الترجمية بصفته منهجا تحليليا يهتم بدراسة العلاقة بين الخطاب والأيديولوجية، سعيا إلى إظهار كيفية انزياح النص تجاه أيديولوجية معينة. ويتم عبر ثلاث عمليات تتلخص في معاينة النص (الوصف)، التفاعل (تأويل العلاقة بين النص والتفاعل)، وأخيرا شرح العلاقة بين التفاعل والسياق الاجتماعي. وهو قابل للتطبيق على النص الأصل والنص الهدف على حد سواء. فكما لصاحب النص خيارات لها دوافعها اللغوية والثقافية في إنتاج النص الأصل، نجد للمترجم كذلك خيارات لها مرجعياتها في إنتاج النص الهدف في لغة وثقافة وسياق جديد. ومنه، تتحدّد الاستراتيجية الترجمية وفقا لنوع النص والهدف من الترجمة. وقد تسنّى لنا من خلال النماذج التطبيقية المدرجة أعلاه، تحليل مادة لغوية تحليلا نقديا بمراحله الثلاث تجلّت عبرها مظاهر أيديولوجية، وكذلك تحليل العوامل والدوافع والخلفيات التي تكمن وراء الاختيارات والقرارات التي يتخذها المترجم قصد التحكم في عمليات التبادل والتواصل خدمة توجهات معينة.

المراجع:

1- المراجع العربية:

1-الزليطني محمد لطفي. 2014، *من تحليل الخطاب إلى التحليل النقدي للخطاب*. مجلة الخطاب، المجلد 9 : العدد 17. جامعة تيزي وزو - الجزائر
https://www.asjp.cerist.dz

2- جمعة صبيحة، 2019، من حدود التحليل اللغوي للنص إلى انفتاح عوالم الخطاب، مجلة حوليات الآداب واللغات، مجلد 07-1:ع13 نوفمبر 2019، جامعة محمد بوضياف- المسيلة - الجزائر
https://www.asjp.cerist.dz
3- صليبا جميل. 1982، المعجم الفلسفي، ج1. لبنان، بيروت : دار الكتاب اللبناني.
4- محفوظ نجيب. 1987، قصر الشوق. القاهرة، مصر : مطبوعات مكتبة مصر.
5- يطاوي محمد. 2019، التحليل النقدي للخطاب: مفاهيم ومجالات وتطبيقات - مؤلف جماعي. المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية - ألمانيا – برلين.الطبعة الأولى،
http//www.democraticac.de
6- يطاوي محمد. 2018a، المرجعية اللسانية في التحليل النقدي للخطاب، مجلة سياقات اللغة والدراسات البينية، المجلد 3، العدد 1، مصر.
http//www.academia/37192796/

2- المراجع الأجنبية:

1- Fairclough, N. 1989, Language and Power . London: Longman.
https://epdf.pub › download › language-and-power-language-in-social-life
2- Fairclough, N. 1995, Critical Discourse analysis. London: Longman.
https://www.academia.edu ›Critical_Discourse_Analysis_Norman_Fairclough
3- Hatim, B. 2001. Communication Across Cultures – Translation Theory and Contractive Text Linguistics. P. 178
https://www.academia.edu › ACROSS_CULTURES_Translation_Theory_an...
4- Machin. D & Mayr. Andrea. 2012, How to Do Critical Discourse Analysis. SAGE publication Ltd, London,
uk.sagepub.com
5- Mahdyan, M and Rbhar, M.(March 2013). Applying Critical Discourse Analysis in Translation of Political Speeches and Interviews. Academic Journal of Interdisciplinary Studies, vol 2, n° 1.
https://www.mcser.org › index.php › ajis › article
6- Mahfouz. N. 1987. Le Palais Du Désir, traduit de l'Arabe par Philippe Vigreux. Paris : J.C. Lattès

7- Munday, J. 2001, Introducing Translation Studies. London and New York: Routledge.

8- Pound, E. 2000. Guido's Relations. In Venuti, L. (Ed.). The Translation Studies Reader. London, Routledge

https://translationjournal.net › images › e-Books › PDF_Files › The Translati.

9- Schaffner, Ch. (16 November 2004), Translation Research and Interpreting Research Traditions, Gaps and Synergies (Current Issues in Language and Society Monographs), Revue LINGUIST.

https://www.researchgate.net › publication › 24890435

06, Politique, Idéologie et Discours, Revue SEMEN 21: Catégories pour l'analyse du discours politique.(traduction assurée par Emmanuelle Bouvard et Adèle Petitclerc).

https://journals.openedition.org/semen/1970

11- Wodak, R and Meyer, M. 2001, *Method of Critical Discourse Analysis.*

www.fib.unair.ac.id › jdownloads › methods_of_critical_discourse_analysi...